وديع عواد

الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

Wadie Jwaideh

The Kurdish National Movement

Its Origins and Development

Syracuse University Press

وديع جويده

الحركة القومية الكردية

نشأتها وتطورها

قدّم له: مارتن فان برويـنسن

ترجمة: مجموعة من المترجمين

إشراف وتدقيق: غازي برّو

دار الفارابي أراس

الكتاب: الحركة القومية الكردية
المؤلف: وديع جويده
الترجمة: مجموعة من المترجمين
إشراف وتدقيق: غازي برو
الغلاف: فارس غصوب
الناشران: * دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) فاكس: 307775(01)
ص.ب: 11/3181 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
www.dar-alfarabi.com
e-mail: info@dar-alfarabi.com
*** دار أراس للطباعة والنشر**
شارع جولان ـ أربيل ـ اقليم كردستان العراق
www.araspublishers.com
e-mail:aras@araspress.com
الطبعة الأولى: نيسان 2013
ISBN: 978-9953-71-969-6

© جميع الحقوق محفوظة
تباع النسخة الكترونياً على موقع:
www.arabicebook.com

قبل وفاته عـام 2001، عمل الدكتور وديع إلياس جويده ولخمس وعشرين سنة في جامعة إنديانا. نال عام 1972 جائزة هِرمَن ليبر (Herman Lieber) التذكارية كأستاذ متميز. تقاعد عام 1987. وكان لا يزال أستاذاً للتاريخ ورئيساً لقسم لغات الشرق الأدنى وآدابه الذي أسسه. حتى بعد تقاعده، استمر في التعليم كأستاذ مساعد للتاريخ في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو حتى العام 1990. تلقى البروفسور جويده علومه في العراق والولايات المتحدة الأميركية. أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه– التي هي أساس هذا الكتاب– جعلته واحداً من أشهر خبراء المسألة الكردية، أوائل الستينيات. اطلاعه الواسع على تاريخ الشرق الأوسط وثقافته، كان وراء الدعوة التي وجهت إليه لمقابلة الرئيس الأميركي جيمي كارتر أثناء أزمة الرهائن في إيران، كما كان سبباً لمشاركته في حفلات افتتاح العديد من الجامعات الجديدة في العالم العربي: بما فيها جامعة الكويت، وجامعة دولة الإمارات العربية المتحدة. نشر الكثير من المقالات في المجلات الجامعية المتخصصة وفي موسوعة بريتانيكا (*Encyclopedia Britanica*)، وكشارح لترجمة الفصول الأولى من كتاب ياقوت الحموي: معجم البلدان.

مقدمة

ما هو التاريخ الذي على المرء أن يحدد فيه بداية الحركة القومية الكردية كحركة جماهيرية حديثة مع أحزاب سياسية منظمة جيداً وواضحة البرامج والأهداف، لحشد الدعم الجماهيري المتخطي مفهوم القبائلية الضيق والحدود المناطقية؟ هناك عدة تواريخ قد تعتمد، وكذلك هناك عدة أحداث مهمة، وهناك أيضاً تبريرات مهمة نظراً لاعتبار العام 1961، عام انطلاق تلك الحركة. كان هذا العام بداية حرب العصابات الكردية ضد الحكومة المركزية في بغداد؛ هذه الحرب، التي أدت – ولو على الورق – إلى الاعتراف بالحقوق الثقافية لكرد العراق، وبالحكم الذاتي، مع حق المشاركة في الحكومة المركزية. إن حركة كرد العراق الشديدة الظهور في الستينيات لم تعزز الوعي بأهمية الهوية الكردية عند كرد العراق فقط، بل وحتى بين كرد الدول المجاورة.

في تركيا كان عام 1961، عام تأسيس أول حزب اشتراكي شرعي عرف باسم حزب العمال التركي (WPT)، الذي – ولأول مرة – وضع المسألة الكردية على الأجندة السياسية من خلال خطاب يساري متطور، والذي سوف تبقى مدينة له جميع الأحزاب الكردية التي تأسست لاحقاً، وكذلك التنظيمات الكردية في تركيا. على وعكس الانتفاضات الأولى، فالحركة السياسية العسكرية بقيادة ملّا مصطفى بارزاني في العراق وحركات اليسار

الكردي في تركيا، كانت حركات متينة التماسك. لم تنهر عند أول انتكاسة، بل بقيت تنمو وتوسع مدى نطاقها الجغرافي: وهي مستمرة بثبات منذ الستينيات وحتى اليوم.

إذا كان عام 1961 يشكل المنعطف المهم، فما هي صلة دراسة أُنجزت قبلها بسنتين عن القومية الكردية؟ تأريخ وديع جويده لبروز الحركة القومية الكردية وتطورها – الذي ينشر الآن – كتب أساساً ليكون أطروحة لنيل الدكتوراه من جامعة سيراكوز أوائل عام 1960، واستند إلى أبحاث أجريت أواسط خمسينيات القرن الماضي. بالرغم من ذلك، فقد قدم جويده ملاحظات مهمة جداً عن التطورات العراقية التي أدت إلى انقلاب عام 1958 الذي مهد الطريق إلى تعبئة كردية واسعة وانطلاق حرب العصابات. هذه الدراسة – الأطروحة لم تنشر وجويده على قيد الحياة حيث اكتسبت شهرة واسعة تناقلتها الألسن، وكذلك أدرك العديد من الأكاديميين – لاحقاً – بمن فيهم أنا، أهميتها، ليس كدراسة للمرحلة المبكرة للقومية الكردية، بل، كإطار – أيضاً – لها ولاستيعاب التطورات اللاحقة، مما أكسبها سمعة أسياسية في مجال الدراسات الكردية، حتى غدا أنه يستحيل على أي باحث مهتم بالموضوع تجاهلها أو عدم قراءتها.

عام 1999 صدرت الترجمة التركية (*Kürt Milliyetçili in Tarihi: Kökeni ve Geli imi [Istsanbul: leti im Yayinlari*)، وهكذا أصبحت، ولأول مرة في متناول أكبر عدد من القراء الكرد، ووصلت شهرتها إلى آذان المدعي العام التركي الذي أمر بمنع بيعها ومصادرة جميع النسخ الموجودة في المكتبات. فعل هذا بالرغم من وجود كتب سياسية عديدة تتناول موضوع الكرد من دون أن يتحرك أحد لمنع توزيعها؛ (لاحقاً، رفع الحظر، وعاد الكتاب ينشر من جديد).

أمر واحد قد يكون أزعج المدعي العام التركي، والذي قد يكون استرعى انتباه فئة واسعة من القراء الترك المثقفين، وهو أن جويده، كتب كتابه تعبيراً عن قناعة كاملة بقوة الحركات الكردية المعاصرة وتجذّرها في التاريخ، وتعبيراً عن الظلم اللاحق بالكرد منذ زمن، بالرغم من مطالباتهم المستمرة. لذلك، فإنّ معظم الانتفاضات الكردية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لم تكن حركات منعزلة جاءت ردة فعل عن استياء من تردي الأوضاع الاقتصادية أو السياسية.

في خلاصته، حذر جويده القراء من أنه مهما كانت الأسباب الاقتصادية والاجتماعية للإحساس بعدم الرضا والاستياء «فيجب أن يكون معلوماً أن القومية التي هي أساس المسألة الكردية، هي في طبيعتها سياسية ونفسية.» إن الاهتياج القومي الذي طفا على السطح في العراق، بعد استيلاء العسكر على الحكم عام 1958، يجب أن يؤخذ بجدية تامة، لأنه كان متجذراً في عملية تاريخية عميقة، وكثيراً ما كان الفاعلون فيها متيقظين لها. وبالرغم من أن جويده انتهى من دراسته هذه عام 1959، فإنّ تطورات العقود اللاحقة بدت حتمية للقارئ النبيه.

لم تتوقّف دراسة جويده عند نقطة تحول زمني وحسب، بل مثلت تحولاً جذرياً في مفهوم الدراسات عن الكرد، لا تختلف كلياً عن تلك الدراسات التي أجريت عن مرحلة الاستعمار وما بعده في أماكن أخرى من العالم. خلال وجوده في بريطانيا أواسط خمسينيات القرن العشرين لإجراء بعض الأبحاث، قابل اثنين من أوائل الذين وضعوا دراسات عن الكرد: ڤلاديمير مينورسكي (V. Minorsky) وسسيل جون إدموندس (Cecil J. Edmonds)؛ وكلّ منهما مهتمّ بدراسة الثقافات الشرقية، ويمتلك معلومات واسعة عن الكرد، منذ كانا يعملان لمصلحة حكومتي بلديهما: الإمبراطورية الروسية بالنسبة إلى ڤلاديمير

مينورسكي، والإدارة البريطانية في العراق بالنسبة إلى إدموندس، وقد وطّدا علاقتيهما مع كبار الشخصيات الكردية (وليس بالضرورة مع القوميين الكرد؛ كان الشيخ محمود برزنجي مصدر أوجاع رأس بالنسبة إلى إدموندس)، وكما أصدرا دراسات تظهر تعاطفهما مع الشعب الكردي.

مقالة مينورسكي المطولة والمتفقهة عن كردستان والكرد التي نشرت في الإصدار الأول للموسوعة الإسلامية، إيڤرت يان بريل 1913–36 (E.J. Brill 1913-36)، بينت مدى سعة اطلاعه على الموضوع. أما إدموندس، فقد نشر ملاحظاته، وخلاصة تجربته كضابط، في إقليم كردستان العراق بين العامين 1920 و1925 في كتاب بعنوان: الكرد، الترك والعرب (منشورات جامعة أوكسفورد، 1957) تحدث فيه بصدق وبالتفصيل عن الظروف الاجتماعية والسياسية والشخصيات، وعن مهامه المحلية في الأقاليم التي خدم فيها. وأبدى كلاهما اهتماماً خاصاً بمختلف البدع الدينية التي كانت سائدة أثناء خدمتهما في كردستان وبخاصة جماعة أهلي حق والإيزدية.

علاقة وديع جويده بالكرد كانت مختلفة جداً وكذلك مقاربته لموضوعه. ولد في البصرة، جنوب العراق في عائلة مسيحية تتحدث العربية، ثم انتقل مع عائلته إلى بغداد، حيث درس في جامعتها وتخرج منها عام 1942 حاملاً إجازة في الحقوق. خلال سنوات الحرب التي تلت ذاك التاريخ، عمل في وزارة الداخلية كمشرف على تزويد المقاطعات الشمالية بالمؤن، مما جعله يكثر الترحال في إقليم كردستان العراقي، ويتعرف، بالتالي، إلى العديد من الشخصيات الكردية. هذه العلاقة المباشرة مع الأرض وسكانها، عرف جويده كيف يستعملها في بحثه التاريخي فيما بعد. أما تعمقه في فهم المجتمع الكردي والسياسة، والذي بدا واضحاً خلال هذا الكتاب فمما لا شك فيه أنه نتيجة هذه التجربة.

قدم جويده نفسه باعتزاز على أنه عراقي عربي لكنه كان قلقاً بسبب انتمائه إلى أقلية دينية، وهذا، ما قد يكون سبب تقديره لوضع الكرد، كأقلية في الدول التي يعيشون فيها ولعلاقاتهم مع غيرهم من جيرانهم. وفيما كان الكتّاب الأوائل، يحاولون تحليل القومية الكردية استناداً إلى وجهات نظر الإدارة والمجموعات التي تشكل أغلبية سكان الدولة كان وديع جويده يبذل جهداً قوياً، ليقدم لقرائه وجهة النظر الكردية، فجاء كتابه واحداً من أكثر الدراسات تعاطفاً مع الموضوع وواحداً من الأكثر تفهماً لما يحرك الكرد، واعتبر كتابه أول دراسة جدية تركز على القومية الكردية كحركة قائمة في حدّ ذاتها، وليست مجرد ردة فعل لعملية تحديث أو إصلاح إداري.

الوضع كما رآه جويده كان مأسوياً بالنسبة إلى الكرد والشعوب التي يعيشون في وسطها والتي استيقظ لديها الشعور بقوميتها، وإن جاء ذلك متأخراً. الترك والفرس والعرب كانوا أعلى رتبة، والنظام الذي وضع للدول التي تضم أجزاء من كردستان، بعد الحرب العالمية الأولى، بني على أساس برامج لبناء أمة. وهكذا تحول الكرد إلى مواطنين، إنما ليسوا متساوين في الحقوق مع الترك والإيرانيين والعراقيين والسوريين، وأي جهد سيبذلونه من أجل إقامة دولة قومية لهم، سيجعلهم في مواجهة الأكثرية التركية والإيرانية والعربية، وفي مواجهة جيوش دول حديثة. هذا الوضع أثار استياء الكرد وغضبهم. أما الإحساس بعدم المساواة مع غيرهم من المواطنين الذين ينتمون إلى الأكثرية، فتسبب بانتعاش فكرة القومية الكردية التي أصبحت كما وصفها جويده «أكثر راديكالية، ورافضة لمبدأ المساومة.» والانقسام بين الأحلام والبراغماتية، جعل السياسيين الكرد أمام أمرين: إما الكفاح من أجل الحصول على استقلال تام، وإما الاستمرار في مهادنة الحكومات المركزية.

الحركة الإصلاحية التي أشار جويده إليها، كانت واضحة جداً في العراق

بعد الانقلاب العسكري عام 1958. المواطنون الكرد العاديون كانت لديهم مطالب أكثر إصلاحية وأكثر تقدماً من تلك التي ينادي بها القادة السياسيون، الذين كان عليهم الانتباه إلى تنامي الأصوات المعارضة لهم والمطالبة بحق تقرير المصير. جويده كان أكثر إنصافاً من معظم السياسيين الكرد حين تحدث عن الواقع العقلي للشعب الكردي وخصوصاً عن الطموحين منهم الذين تفصل بينهم جبال وعرة يتعذر اجتيازها، إذْ شتتوا في أماكن عديدة تفصل بينها حدود دولية لكنهم كانوا يرغبون أن يكونوا كغيرهم من الشعوب المحظوظة، أن تكون لهم دولة تعبر عن هويتهم القومية.

أكدت تطورات السنوات الخمس والأربعين الأخيرة، بعد انتهاء جويده من كتابة أطروحته صحة توقعاته من أن انخفاض نسبة الأمية وازدياد عدد المثقفين والتواصل مع الحركات الثورية سيؤدي حكماً إلى زيادة عدد الكرد العاملين الملتحقين بالحركة القومية. وهكذا أصبحت القومية الكردية قوة، على دول المنطقة أخذها في عين الاعتبار، ليس على المستوى المحلي فقط، بل وعلى المستوى العالمي أيضاً. هذا لا يعني أن الانقسامات القبلية واللغوية والدينية التي أشار جويده إليها، لم تعد تشكل عائقاً أمام القومية الكردية، على العكس، فبعض تلك المشكلات قد أفرزت حركات تقوم على هويات متميزة ضمن الحركة الكردية الأوسع، مثال الحركة الإيزدية والعلوية أو الزازائية التي ذهب بعض ممثليها حتى إلى المطالبة بقومية مستقلة لهم.

بالنسبة إلى كرد العراق حافظ الإقليم الكردي على هويته وقوته، وكذلك فعلت الأحزاب السياسية التي أخذت توسع نفوذها وسط القواعد الشعبية. وينطبق هذا القول- إلى حد ما- على كرد إيران خلال الفترة القصيرة التي سمح فيها للأحزاب أن تمارس نشاطاتها علانية. إن عملية التمدين التي مارستها الحكومات الإقليمية، من خلال توطين القبائل الرحالة، ساهمت إلى حد بعيد في تراجع الإحساس بالهوية القبلية، لكن السياسات الحكومية، في

العراق وتركيا بخاصة، عملت وبشكل ممنهج على تقوية العصبيات القبلية لتأسيس ميليشيات تحارب الحركة القومية الكردية.

رغم تجزئة الأراضي الكردية وتوزعها بين إيران والعراق وتركيا وسوريا، كان من السهل على أي كردي عبور تلك الحدود، حيث، وفي كل بلد من تلك البلاد، شارك الكرد في العمل الحكومي، وفي القوى السياسية الأخرى. إن الاختلاف في انتهاج سياسات ثقافية في تلك البلدان، وكذلك الاختلاف في انتهاج سياسات اجتماعية واقتصادية أعطى الحركة الكردية ميزة خاصة بها في كل بلد منها.

في كتابه، يلاحظ جويده تطورات إيجابية برزت ضمن تركيا خلال خمسينيات القرن العشرين، حيث تبذل حكومتها جهداً جدياً لإنماء المناطق الريفية وكذلك في إقليم كردستان أيضاً. بالرغم من هذا، رأى جويده «أن المسألة الأساسية التي هي مثار اهتمام الكرد، لا تحظى بعناية الحكومة التركية التي ترفض رفضاً باتاً الاعتراف بالكرد كقومية خاصة، أو السماح لهم بممارسة نشاطاتهم الثقافية بحرية.» مطالب الكرد الذين انخرطوا في حزب العمال التركي خلال ستينيات القرن العشرين تمحورت حول أمرين: الإنماء الاقتصادي والاعتراف بالكرد كشعب له خصوصيته كما الاعتراف بحقوقه الثقافية. كذلك كانت هي مطالب الأغلبية الكردية غير المنضوية تحت لواء أي حزب سياسي تركي.

الرد التركي بالقمع أدى إلى جعل الحركة الكردية أكثر راديكالية، فارتفعت خلال سبعينيات القرن المذكور، أصوات كردية تنادي بحق تقرير المصير والحكم الذاتي. حزب العمال الكردي (PKK)، الذي هو أكثر الأحزاب الكردية راديكالية أخذ يطالب باستقلال إقليم كردستان بكامله. لكنه، وبعد البدء بممارسة حرب العصابات، عام 1984، ركز عمله ضد تركيا (وكان عناصره ينطلقون من سوريا، والعراق وإيران). لكن هذا الحزب، ورغبة

منه بالتفاوض مع الحكومة التركية، أخذ يبدي تساؤلات ويتراجع عن مطالب سبق له أن طرحها. ليس هذا وحسب، بل وخلال سبعينيات القرن العشرين أخذ يتحدث عن حل ضمن الإطار التركي. ومنذ اعتقال زعيمه أوجلان، عام 1998، أخذ حزب العمال الكردي يتراجع عن المزيد من المطالب، حتى كاد ينسى الحقوق الثقافية وحرية العمل السياسي. وأصبح واحداً من أهم المدافعين عن انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي اعتقاداً منه أن اندماج الدولة التركية في تكتل عالمي قوي هو الضمانة الأفضل لحصول الكرد على حقوقهم الثقافية وعلى نوع من الحكم الذاتي.

كرد سوريا أقل عدداً من كرد البلدان الثلاثة الأخرى. إنهم يشكلون عشرة بالمئة من سكان سوريا ليس أكثر (في حين يشكلون ما نسبته 20 % في تركيا وإيران وأكثر من ذلك بقليل في العراق). أما مطالبهم فكانت محصورة بالاعتراف بحقوقهم كبشر ليس إلّا. وتتمثل المسألة الأساسية بعدم منح الجنسية لمئات آلاف الكرد الذين جاء أسلافهم مما يعرف اليوم بتركيا، والذين لايزال ينظر إليهم، على أنهم غرباء، في الوقت ذاته الذي يعتبر فيه كرد سوريا من داعمي النضال ضد العراق وتركيا.

بالرغم من أن الكرد في إيران يشكلون نسبة لا بأس بها، فمن الصعب الحصول على معلومات موثوقة عنهم، وعما يجري في أوساطهم، إلّا من خلال مقارنتهم بكرد العراق أو تركيا، لذا يمكن للقراء، وبهدف المزيد من الاستفادة، عدم الاكتفاء بما كتبه جويده عن كرد إيران، بل الاطلاع على دراسة السياسة الاقتصادية للمنطقة، بما فيها، بعض الملاحظات عن التطورات السياسية خلال فترة خمسينيات القرن العشرين والتي كتبها المثقف والسياسي عبد الرحمن قاسملو [كردستان والكرد – براغ أكاديمية العلوم التشيكوسلوفاكية – عام 1965]، أو دراسة وليم إيغلتُن (William Eagleton) عن جمهورية ماهاباد : الجمهورية الكردية عام 1946 (*The*

(*Kurdish Republic of 1946* [Oxford University Press, 1963]). خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين قدم الناشطون السياسيون من كرد إيران دعماً لا يستهان به لإخوانهم كرد العراق، بالرغم من أن تزايد اعتماد هؤلاء الآخرين على الحكومة الإيرانية كان يزيد من المخاوف والقلق، بخاصة بعد إقدامهم – أي إقدام كرد العراق – على المساعدة في إخماد انتفاضة بعض الشباب الكرد الإيرانيين عام 1968. مما ساهم في استمرار توتر العلاقة بين البارزاني وكرد إيران.

خلال الثورة الإيرانية عام 1978–1979، أخذ كرد إيران يسعون للحصول على الحكم الذاتي. وبالفعل عرفت أجزاء كبيرة من كردستان إيران نوعاً من الحكم الذاتي – كأمر واقع – لسنوات عديدة. وتأسست أحزاب كردية تطالب بتثبيت هذا الواقع، مثل حزب كردستان الديموقراطي وغيره من الأحزاب الصغيرة التي لعبت دوراً بشكل أو بآخر. ولكن عام 1983، تمكنت الجمهورية الإسلامية – بمساعدة من البارزاني وإن غير معلنة – من إحكام قبضتها على المناطق الحدودية، وطرد آخر مجموعة من الساسة القوميين الكرد والفدائيين إلى إقليم كردستان العراقي. ومنذ ذلك الحين أخذ نشطاء الحركة الكردية القومية يمارسون نشاطهم سراً. لكن هذا لم يمنع من ازدهار الحركة الثقافية الكردية نوعاً ما. وهكذا انخرط الساسة الكرد الباقون في حركات المعارضة المنادية بتعزيز الحياة الديموقراطية في إيران بدلاً من التركيز على مطالب كردية مخصوصة.

عرف إقليم كردستان العراق تطوراً مهماً وملحوظاً. كما أنّ اتفاقية الحكم الذاتي عام 1970 لم تضع حداً لكفاح الشعب الكردي الذي وجد نفسه أمام مشكلات جديدة كمشكلة الترحيل الجماعي للكرد من إقليم كركوك الغني بالنفط، وغيره من الأقاليم التي كانت ترغب الحكومة العراقية بإبقائها خارج منطقة الحكم الذاتي. أميركا وإسرائيل أخذتا تقدمان العون للبارزاني، في

حين أخذت الحكومة العراقية تبدي تقارباً واضحاً نحو الاتحاد السوفياتي، مما حوّل إقليم كردستان العراقي إلى ساحة معركة «ساخنة» في الحرب الباردة بين الشرق والغرب. استمر الوضع كذلك، حتى توصل الطرفان الإيراني والعراقي إلى نوع من التفاهم عام 1975، يقضي بإحلال الاستقرار بين الطرفين. وهكذا انتفت الحاجة للكرد.

أثناء الحرب العراقية – الإيرانية (1980–1988) تعاونت الأحزاب الكردية إلى حد ما مع الجانب الإيراني، وضمت مناطق أخرى إلى منطقة الحكم الذاتي، الأمر الذي كلفهم معاناة رهيبة جراء انتقام الحكومة العراقية. وهكذا، وما إن شارفت الحرب العراقية – الإيرانية على نهايتها، حتى أقدمت الحكومة العراقية على القيام بعدة هجمات مستعملة الأسلحة الكيمياوية، التي زرعت الموت والدمار، وأدت إلى تدمير آلاف القرى فوق رؤوس قاطنيها؛ واختفى ما يزيد عن مئة ألف رجل من كل الأعمار، معظمهم أو كلهم دفنوا في مقابر جماعية في الصحراء الشمالية. لم يعر أحد اهتماماً لمثل هذه الإبادة العرقية إلّا بعد فقدان صدام حسين موقعه كحليف للدول الغربية، في مواجهتها الحركات الإسلامية والمتصاعدة.

أثناء الحرب التي قادتها أميركا عام 1991 لإخراج صدام حسين من الكويت، استغل الكرد الفرصة، وكذلك شيعة جنوب العراق، فانتفضوا على حكم بغداد. وعلى عكس ما جرى سابقاً، كان الكرد هذه المرة، وبفضل التدخل الدولي، في مأمن من انتقام صدام حسين. وهكذا عرفت معظم المناطق الشمالية من العراق نوعاً من الاستقرار والهدوء. وهكذا أيضاً تحول، وبفعل الأمر الواقع، قسم كبير من إقليم كردستان العراق إلى ما يشبه الكيان المستقل ذاتياً، وعرف نمواً اقتصادياً لم تعرفه بقية المناطق العراقية. وفي الوقت ذاته انتعشت الحركة السياسية والثقافية، وعلى المستويات كافة. وتلقى القادة الكرد العراقيون، دعماً دولياً غير محدود، مما جعلهم لاعبين

أساسيين في أي جهد يبذل لبناء العراق الجديد. بعد عقد من تجربة إدارتهم لإقليمهم وبوجود قوة عسكرية مدربة جيداً، صار كرد العراق يشغلون موقعاً قوياً، لم يسبق لهم أن عرفوه من قبل. صاروا يشغلون موقعاً يسمح لهم بإدارة إقليمهم ولعب دور أهم في الحياة العراقية.

ما قاله وديع جويده، عن أهمية فهم الكرد، ظهرت أهميته، في مرحلة ما بعد انقلاب عام 1958 في العراق، وفي الظروف الحالية أيضاً. «إن تصرفهم هو واحد من العوامل المهمة، لبناء مستقبل مستقر وآمن، ليس للدول التي يسكنها مواطنون كرد وحسب، بل للشرق الأوسط بكامله. لذا، فمن المهم، أن نعرف الكرد وأن نتفهم أهدافهم، وتوجهاتهم السياسية والمنهج الذي يرغبون بانتهاجه.»

في محاولة لفهم ما آل إليه حال العراق بعد الغزو الأميركي بدءاً من العام 2003، لا بد من العودة إلى مرحلتين سابقتين في تاريخ العراق: الاحتلال الإنكليزي بعد الحرب العالمية الأولى، الذي أدى إلى إنشاء المملكة العراقية، وسنوات الثورة التي أعقبت الانقلاب العسكري الذي أطاح رموز الملكية ومناصري الإنكليز. مسائل أساسية، بقيت بلا حلول، إن عند إنشاء الملكية، أو حين تأسيس الجمهورية لاحقاً. أسئلة تتعلق بعلاقة الكرد مع تلك الدولة العربية. أسئلة تتعلق بثقافتهم وحقوقهم القومية. أسئلة تتعلق بطبيعة تمثيلهم. كل هذه تمثل جوهر المسائل الأساسية التي بقيت تبحث عن حلول. معالجة جويده لكل هذه المسائل جعلت دراسته وثيقة الصلة بموضوع معاصر.

مارتن ڤان برويسن من جامعة أوتريخت.

(Martin Van Bruinessen of the University of Utrecht)

كانون أول/ ديسمبر، 2004.